

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC: 2018 .S53 PJ7577,5
المؤلف الشخصي: الشاوي، عبد الهادي عبد الرحمن - مؤلف.
العنوان: أثر السياق في خطب الامام الحسن * : دراسة
تحليلية /
بيان المسؤولية: تأليف عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي ؛ تقديم
كاظم الخرسان.
بيانات الطبعة: الطبعة الأولى.
بيانات النشر: النجف، العراق ؛ العتبة الحسينية المقدسة، مركز
الامام الحسن * للدراسات التخصصية ، ٢٠١٨ / ١٤٣٩ للهجرة.
الوصف المادي: ٢٠ صفحة ؛ ٢٢ سم.
سلسلة النشر: (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٤٥٧).
سلسلة النشر: (مركز الامام الحسن * للدراسات التخصصية ؛ ٥٤).
تبصرة بيلوجرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات
٦٢-٦٧).
موضوع شخصي: الحسن بن علي (*). الامام الثاني، ٢-٥ للهجرة -
خطب - دراسة لغوية.
مصطلح موضوعي: الخطابة العربية - تاريخ ونقد.
مصطلح موضوعي: السياق اللغوي.
مصطلح موضوعي: علم الدلالة.
مؤلف اضافي: الخرسان، كاظم - مقدم.
اسم هيئة اضافي: العتبة الحسينية المقدسة. مركز الامام الحسن *
للدراست التخصصية. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ٦٦٨ لسنة ٢٠١٨

أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام
عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي

اثر
السِّيَاة فِي خُطْبَةِ الْاِمَامِ الْحَسَنِ

دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

عِنْدَ الطَّلَاقِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الشَّارِقِيِّ

جَامِعَةُ الْكُوفَةِ
مَرْكَزُ دِرَاسَاتِ الْكُوفَةِ

مقدمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين،
والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله
الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين
إلى قيام يوم الدين، آمين رب العالمين.

أهل البيت عليهم السلام شخوصٌ نورانيّة وأشخاصٌ ملكوتيّة،
منها ولأجلها وُجدَ الكون، وإليها حسابُ الخلق،
يتدفقون نوراً وينطقون حياةً، شفاههم رحمة وقلوبهم
رأفة، وُضِعَ الخير بميزانهم فزانوه عدلاً، ونَمَت المعرفة
على ربوع ألسنتهم فغذّوها حكمةً.

أنوارٌ هداة، قادةٌ سادات (ينحدرُ عنهم السيل ولا يرقى
إليهم الطير)، ألفوا الخلق فألفوهم، تصطفُّ على أبوابهم أبناء

٨.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

آدم متعلّمين مستنجدين سائلين، وبمغانمهم عائدتين.

لا يُكرهون أحداً على موالاتهم ولا يجبرون فرداً على
اتباعهم، يُقيّد حبُّهم كلّ من استمع إليهم ويشغف قلب
كلّ من رآهم، منهجهم الحقُّ وطريقهم الصدق وكلمتهم
العليا، هم فوق ما نقول ودون ما يُقال من التأليه، هم
أنوار السماء وأوتاد الأرض.

والإمام الحسن المجتبي عليه السلام هو أحد هذه الأسرار التي
حار الكثير في معناها وغفل البعض عن وجه الحكمة في
قراراتها وباع آخرون دينهم بدنيا غيرهم فراحوا
يُسطّرون الكذب والافتراءات عليه والتي جاوز بعضها
حدّ العقل ولم يتجاوز حدّ الحقد المنصب على بيت
الرسالة.

مقدمة المركز ٩

وقد اهتمَّ مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية بكتابة البحوث والدراسات وتحقيق المخطوطات التي تُعنىُ بشأن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام ونشرها في كتب وكتيبات بالإضافة إلى نشرها على مواقع الانترنت وصفحات التواصل الاجتماعي التابعة للمركز.

بالإضافة إلى النشاطات الثقافية والإعلامية الأخرى التي يقوم بها المركز من خلال نشر التصاميم الفنية وإقامة مجالس العزاء وعقد المحاضرات والندوات والمسابقات العلمية والثقافية التي تثرىُ بفكر أهل البيت عليهم السلام وغيرها من توفيقات الله تعالى لنا لخدمة الإمام المظلوم أبي محمد الحسن المجتبي عليه السلام.

١٠.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

وهذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ هو أحد تلك الثمار التي أينعت والتي لا تهدف إلا إلى بيان شخصية الإمام الحسن المجتبي عليه السلام بكل أبعادها المضيئة ونواحيها المشرقة، ولرفد المكتبة الإسلامية ببحوث ودراسات عن شخصية الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، ومن الله التوفيق والسداد.

العتبة الحسينية المقدسة

مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية

كاظم الخراسان

المقدمة

إن أي خطاب مهما اختلفت توجهاته وتعددت أنماطه، يظل نسيجاً لغوياً يقوم على مرتكزات نصية، هي بمثابة المحددات لقصدته، وهي أيضاً الكاشفة عن جوانب البلاغة والقدرة على التوصيل والإبلاغ الذي هو هدف أي منشئ لنص خطابي، فضلاً عن أن الخطاب لا ينشأ في فراغ زماني أو مكاني، فهو محكوم بما يدعى السياق الذي هو قسمان: هما السياق اللغوي والسياق المقامي - سيقف البحث عندهما - ليكتشف أثرهما في النص الخطابي للإمام الحسن عليه السلام الذي اهتم بالبحث

١٢.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

بدراسة بعض من خطبه، محاولاً إبانة هذا التأثير والدلالة على أماكن فعله في النص الخطابي، إذ لا يخفي أن خطب الإمام الحسن عليه السلام قد ولدت من رحم معاناة اجتماعية وسياسية خطيرة مر بها الواقع الإسلامي، حين اختل التوازن الاجتماعي، وتغيرت النفس البشرية آنذاك، تبعاً لمقتضيات فرضت بعضاً منها، واستجاب بعض من الناس لها طوعاً وطمعاً، أو حفاظاً على بيضة الإسلام، ووحدة المجتمع الإسلامي، أو تقيّة مراعاة لظروف القمع التي وسمت تلك المرحلة التاريخية من حياة الأمة الإسلامية، وفي شدة هذا التشابك والاختلاط بين ظواهر الحق ومحددات الواقع، كانت هذه الخطب أداة كشف بارعة في وصف حالة المجتمع الإسلامي وفي الدلالة على منابع الخير فيه، أو لإضاءة الدرب الذي ربما

أظلم بعض سالكيه، فكل هذه الخطب كانت تنهض بأعباء الإرشاد حيناً لمن ضل وحيناً آخر تؤكد حقيقة أو تضع حجة أو تقدم دليلاً لكشف الفكرة أو تعميقها أو توكيدها، وكلها لا تخرج عن إطار المؤثرات السياقية الحاكمة التي سيتبعها الباحث ويدل على أهم جوانب تأثيرها في النص الخطابي، ويشير إلى بعض أوجه الدلالة التي فرضتها هذه الظروف وحددتها بما لديها من أسباب قوية، لا يستطيع النص أن يفلت من إجراءاتها، فهي تبدو على سطحه، صوراً وصياغات تركيبية، ومن ثم معان حقيقة أو مجازية أو إحياءات تكتشف من خلال التمحيص والنظر الثاقب إلى خفايا النص وما طمح أن يؤديه من دلالات، وما يوافق ذلك من أساليب اقتضتها الحالة النفسية والاجتماعية لمنشئ النص وللمتلقي، وبناء

١٤أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

على ذلك وجب أن يقوم البحث على مبحثين وتمهيد:
سندرس في التمهيد السياق ودلالته اللغوية
والاصطلاحية، ثم نتناول في المبحث الأول: أثر السياق
المقامي في الخطاب وما فرضه من شروط ومحددات
تبدت على أساليب تشكيله اللغوي، أما في المبحث
الثاني: فسندرس، أثر السياق اللغوي في النص الخطابي،
ثم تقدم في خاتمة البحث ما تمكنا من الوصول إليه من
نتائج بعون الله تعالى وخدمة لابن نبيه المصطفى عليه السلام والله
المسدد والموافق.

**

التمهيد

السياق لغة واصطلاحاً:

السياق لغة: لقد حدد اللغويون المعنى للفظة السياق، إذ جاء في لسان العرب، لابن منظور أن السياق هو مصدر (ساق، يسوق، سوقاً، وسياقاً)، وجاءت هذه اللفظة في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق: ٢١)، «والمعنى اللغوي يشير إلى دلالة الحدث وهو (التتابع)^(١) فيما رأى لغوي آخر أن لفظة السياق تعني الإيراد، إذ قال التهانوي أن السياق

(١) ينظر: لسان العرب - مادة (سوق): ١٠ / ١٦٦.

١٦أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

في اللغة يعني الإيراد^(١). وفي الحالتين فإن معنى السياق في اللغة لا يخرج التابع المستمر الذي يعني الصلة المتواشجة مع الزمن، أي لا انفصال بين الحالتين، فالإيراد والتتابع حدثان يكادان أن يتشابهما.

السياق في الاصطلاح: هناك تعريفات متقاربة للسياق في الاصطلاح، لكننا اخترنا واحداً منها، لأننا نظن أنه أقربها إلى التطابق الذي نسعى إليه، فالسياق «يعني في دلالاته الأولى: البنية اللغوية في اتصالها بما قبلها، وبما بعدها، وهو ما نطلق عليه السياق اللغوي أو المقالي، ويعني في دلالاته الأخرى الظروف والملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي أو غيره، وهو ما ندعوه بالسياق غير

(١) كشف اصطلاحات الفنون : ٤ / ٢٧.

التمهيد ١٧

اللغوي أو المقامي»^(١) وهو بذلك يمثل جميع المكونات المحيطة بالنص ساعة انتاجه، والتي تتجدد من خلاله، لتكتسب أبعاداً دلالية جديدة، أي هو الجو العام المحيط بالنص بما فيه من قرائن وعلامات، ويبنى عليه وضوح دلالة الألفاظ وتحديد معناها، لأن فيه قرائن تعين على ذلك، ولا ارتباطه بمقام معين قادر على إحداث أثر ما يحدده في ضوء القرائن المرافقة للنص. فإذا كان هذا هو المقصود بالسياق اللغوي، فإن أحد الباحثين يرى أن «النظر إلى السياق يتم من ناحيتين: الأولى: توالي العناصر

(١) النقد والسياق، سالم عباس خداده، مجلة العلوم الإنسانية، ع ٢، جامعة

١٨أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

التي يتحقق بها التركيب والسبك»^(١) كما أن السياق ينبغي أن لا يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلها، وهو ما يطلق عليه «سياق النص»^(٢). أو ما يسميه النقد العربي القديم بـ(المقال). والثانية: هي توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، وكانت ذات علاقة بالاتصال، وهذه الناحية

(١) قرينة السياق_ د. تمام حسان: ٣٧٥، بحث قدم في(الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم)، مطبعة عبير للكتاب، ١٩٩٣م- القاهرة.

(٢) دور الكلمة في اللغة_ ستيفن أولمان، ترجمة د. كمال بشر، مكتبة الشباب، الطبعة الأولى ١٩٨٦م: ٦٢. وينظر: علم الدلالة العربي - د. فايز الداية_ دار الفكر_ دمشق_ الطبعة الأولى، ١٩٨٥،: ٢١٨.

التمهيد ١٩

يسمى فيها السياق «سياق الموقف»^(١)، والنقاد العرب القدماء كانوا يسمونه (المقام) حين أطلقوا كلمتهم المشهورة «لكل مقام مقال»^(٢)، ونظروا إلى النصوص الأدبية على وفق هذا المنظار، وهو سبق لهم سبقوا به الآراء الغربية التي حملت النظرية السياقية والتي هي «حجر الأساس في المدرسة اللغوية الحديثة التي أسسها (فيرث) في بريطانيا، والتي وسع فيها نظريته اللغوية بمعالجة جميع الظروف اللغوية لتحديد المعنى، ومن ثم حاول أثبات صدق المقولة بأن (المعنى وظيفة السياق)

(١) قرينة السياق: ٣٧٥. وينظر دلالة السياق _ د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي _ معهد البحوث العلمية، جامعة ام القرى، السعودية ١٤٢٤هـ: ٤٢.

(٢) مفتاح العلوم: ١٦٨.

٢٠.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

ولقد عرفت هذه المدرسة (مدرسة لندن) بالمنهج السياقي الذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة^(١)، وهذه الوظيفة الاجتماعية لا تتحقق إلا بمراعاة مقتضى الحال الذي أشار إليه البلغاء العرب، حين أوصى بشر بن المعتمر (ت ١٦٨ هـ) المتكلم بأن «يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»^(٢)، وبهذا السبق يكون العرب عندما قالوا

(١) علم الدلالة_ د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة الطبعة الرابعة،

١٩٩٣م: ٦٨.

(٢) البيان والتبيين: ١ / ٩٢. الصناعتين ١٤١.

«لكل مقام مقال ولكل كلمة مع صاحبها مقام قد وقفوا على عبارتين من جوامع الكلم، تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات، لا العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في كل الثقافات على حد سواء»^(١)، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) إلى هذا المعنى عندما ربط فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه حيث يقول «وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكننا نوجبها لها موصلة بغيرها ومعلقاً معناها بمعنى ما يليها، فاذا قلنا في لفظة [اشتعل] من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيئاً﴾ مريم: ٤، أنها

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٧٢.

٢٢.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

في أعلى رتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولاً بها الرأس، معرفاً بالألف واللام ومقروناً إليهما الشيب منكرأ منصوباً^(١).

وعلى وفق هذا الرأي، فإن المعنى لا يمكن تحديده إلا بمعرفة السياق اللغوي والسياق المقامي، وهذا ما تمثله فكرة (مقتضى الحال والعلاقة بين المقام والمقال). التي أثرت الفكر النقدي العربي في قديمه، وقدمت قراءات صحيحة للنص الإبداعي العربي، وتكشف دلالاته بما لا يقبل اللبس، وبما يؤكد القصد الذي سعى إليه منشئ النص، ثم إن مراعاة هذه الاعتبارات «تمثل الاتجاه الصحيح والضروري في الكشف عن المعنى وتطبيق هذا المنهج ينبغي أن يصدق على النصوص المنطوقة ذات

(١) دلائل الأعجاز: ٤٠٣.

التمهيد..... ٢٣

المقام الحاضر الحي كما ينبغي أن يصدق على النصوص ذات المقام المنقضي والذي يمكن إعادة بنائه بالوصف التاريخي، ومن تأتي قيمة هذا المنهج لدراسة كتب التراث العربي، وإن الاكتفاء بالمعنى الحرفي أو معنى المقال أو معنى ظاهر النص يعتبر (كذا) دائماً سبباً في قصور الفهم^(١). وعدم وضوح الدلالة وضياع جمالية النص الأدبي. كل هذه المفاهيم والمبادئ، وهي ما دعنا إلى النظر في خطب الإمام الحسن عليه السلام لعنا نقدم قراءة متواضعة تسعى إلى إيانة المحتوى الدلالي للنص المدروس، وتكشف عن كل المؤثرات التي رافقت النص ساعة إنتاجه وعملت على صرفه إلى دلالات قصدها

(١) اللغة العربية معناها: ٣٧٢، ومبناها: والصواب (يعد دائماً سبباً في

قصور الفهم).

٢٤.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

الإمام الحسن عليه السلام لأنه وضع في تقديره كل الملابس التاريخية والواقعية، التي أفرزت تأثيراتها على مجمل النص الخطابي الذي نراه قد تنوع بتنوع هذه الوقائع اللغوية والمقامية. وعلى وفق هذه المحددات سيكون البحث على مبحثين.



المبحث الأول

أثر سياق الموقف (المقام) في خطب الإمام الحسن عليه السلام

المواقف التي مر بها الإمام الحسن عليه السلام منها ما ارتبط
بحدث تاريخي ظل عالقاً وفاصلة في التاريخ الإسلامي،
غيرت كثيراً من الوقائع التاريخية التي جاءت بعدها،
وقد كانت هذه الخطب صورة جليلة تمثل الواقع
الإسلامي بكل متغيراته وإرهاصاته وتقلباته، كما أنها
تعد وثيقة تاريخية لا غنى عنها في دراسة الواقع
الإسلامي آنذاك، فقد نطقت بصدق وأوحت بدلالات
يتفهمها المؤرخ والباحث، وتساعد في إضاءة تلك

٢٦.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

الحقبة التاريخية التي عاشها الإمام عليه السلام وخلف لنا نصوصاً كاشفة نيرة، تبدو عليها بجلاء تأثيرات الواقع بما يؤكد ما نود الإشارة إليه من أن النص الأدبي الخطابي ولد من رحم واقع له سماته الفارقة فكان أيضاً نصاً متميزاً حاملاً للدلالات وموغلاً في المعاني التي تمثلت في القدرة البلاغية الدالة عليه جمل النص الأدبي وفقراته وصوره، وللسياق أثر كبير في تحديد «دلالة الكلمة على وجه الدقة وبوساطته تتجاوز كلمات اللغة حدودها الدلالية المعجمية المألوفة لتفرز دلالات جديدة قد تكون مجازية، أو إضافية، أو إيجائية، أو اجتماعية»^(١)، وهذا التوالد

(١) علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، د. هادي نهر، الأردن،

المبحث الأول: أثر سياق الموقف (المقام) في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٢٧

الدلالي للمفردات سنجد له شواهد في النصوص التي سندرسها، ومنها نص خطبته عليه السلام يستنفر الناس لمعركة الجمل، بعد أن بعثه أمير المؤمنين عليه السلام مع عمار بن ياسر إلى أهل الكوفة، فقال مخاطباً أهل الكوفة: «أيها الناس إنا جنناكم ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله، وإلى أفضله من تفقه من المسلمين وأعدل من تعدلون وأفضل من تفضلون، وأوفى من تبايعون من لم يعبه القرآن ولم تجهله السنة، ولم تقعد به السابقة إلى من قربه الله تعالى إلى رسوله قرابتين، قرابة الدين، وقرابة الرحم إلى من سبق الناس إلى كل مأثرة، إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون، فقرب منه، وهم متباعدون وصلى معه وهم مشركون، وقاتل معه وهم منهزمون، وبارز معه وهم محجمون، وصدقه وهم يكذبون إلى من لم ترد له راية ولا

٢٨.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

تكافأ له سابقة وهو يسألكم النصر ويدعوكم إلى الحق
ويأمركم بالمسير إليه لتؤازروه، وتنصروه على قوم نكثوا
بيعته وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ومثلوا بعماله
وانتهبوا بيت ماله، فاشخصوا إليه رحمكم الله فأمروا
بالمعروف وأنهوا عن المنكر واحضروا بما يحضركم به
الصالحون»^(١)، إن هذه الخطبة جاءت ضمن سياق موقف
هو الدعوة وحشد الناس لمواجهة الناكثين، وهي على
وفق الدراسات السياقية الحديثة يمكن لنا أن نحدد
مظهرها العام، ومن ثم الدلالات التي قصدها والمعاني

(١) كتاب الجمل وصفين والنهروان: ١٣٥، وينظر: شرح نهج البلاغة-

لابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) - تح - محمد أبو الفضل إبراهيم - دار

إحياء الكتب العربية - ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م : ١٤ / ١١، بحار الأنوار:

المبحث الأول: أثر سياق الموقف (المقام) في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٢٩

التي ينصرف إليها الذهن بناء على المكونات السياقية المحيطة بالنص، وهي أمكنة محددة، وأناس مخاطبون لهم سمات خاصة فارقة، فضلاً عن فهم مشترك، أو يكاد أن يكون كذلك لمجريات الحالة السياسية في البلد الإسلامي، ثم معرفة تامة من قبل المخاطبين بسمات وخصائص الخطيب، والقصد الذي يدعو إليه، وصدفية هذا الخطاب، إذ لا يشك المخاطبون بما جاء به إليهم الخطيب، هو داعية لإمامهم وهو رسوله إليهم، كل ذلك فرض على الخطبة أن تجري على أساليب، تراعي الحالة الاجتماعية والسياسية والنفسية للمخاطبين، كل هذه المشتركات تركت تأثيراً واضحاً على صياغة النص اللغوية، ومن ضمنها اختيار الأساليب المؤدية إلى الإبلاغ بأقرب وسيلة وأيسرها، إذ أن لكل خطاب محددات

٣٠.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

ثلاثة على رأي عالم اللغة (فيرث) فهي عنده، معايير
لدراسة السياق وهي: المشاركون في الخطاب، من حيث
شخصياتهم ومستواهم الثقافي والاجتماعي وقربهم من
صاحب الرسالة، وثاني هذه المعايير: هو المواد
والأحداث الواقعية المادية، المعيار الثالث: هو أثر
السلوك الكلامي إذا كان هناك مشاركة في الحدث
اللغوي. ولكي نكشف ذلك لابد من رسم مخطط
يوضح صورة الخطاب بالآتي:

المبحث الأول: أثر سياق الموقف (المقام) في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٣١

عناصر الحدث	البيان
المشهد	الإمام الحسن <small>عليه السلام</small> وجمع من أهل الكوفة، على اختلاف آرائهم، والمكان الكوفة.
المشارك	الإمام الحسن <small>عليه السلام</small> وأهل الكوفة
الغاية	الحث على المشاركة في القتال إلى جانب الإمام علي <small>عليه السلام</small> لمواجهة الناكثين
الوسائل	الكلام الشفوي
جنس الخطاب	خطبة

هذه المواصفات العامة المميزة لهذه الخطبة، ولا بد لها من أن تترك أثراً في الصياغة اللغوية وتحدد شكل الأساليب المتبعة لإيصال الفكرة التي من أجلها جاء هذا الحدث الكلامي. فلو نظرنا إلى النص في أعلاه (الخطبة)

٣٢.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

لوجدنا أنه قد ابتدأ بقوله: «أيها الناس إنا جنناكم ندعوكم إلى الله ورسوله....»، ولولا المعرفة السابقة لدى المخاطبين لتغيرت الصياغة اللغوية، إذ لا يعقل أن يخاطب ناس دون أن يقدم الخطيب تعريفاً وافياً لشخصيته، وهذا لم يحدث في هذه الخطبة لوجود قرائن خارجية ساعدت على الاستغناء عن ذكر التعريف، فالقوم مسلمون وهم يعرفون من يخاطبهم، ثم إنهم على قدر كبير من المعرفة بحال الخطيب ومكانته الدينية وخلقة وقرابته من الرسول ﷺ وما استغناؤه عن ذكر من بعثه بهذه المهمة إلا دليل على وجود سياق مقامي حاكم للطرفين، وما ذكر السمات والصفات التي يتصف بها من بعثه في هذه المهمة إلا ليؤكد تلك السمات ويعزز من حضورها في نفس المتلقي، إذ أن أسلوب التوكيد في أي

المبحث الأول: أثر سياق الموقف (المقام) في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٣٣

خطاب لا يعني جهل المخاطب بما يقدمه الخطيب، بل يدل على إتباع أسلوب عربي يستعذبه الإنسان العربي الحاجة نفسية فيه، وهي من سنن الخطاب العربي في عصوره كافة، كما أنه يمثل سياقاً عاطفياً يترك أثراً في النص «إذ يحدد السياق درجة القوة والضعف في الانفعال، بما يقتضي تأكيداً، أو مبالغة، أو اعتدالاً، فهو يبين درجات العمق العاطفي وتصنيفها حسب القوة والضعف بالاستعانة بالقرائن البيانية التي توضح عمق الانفعال»^(١)، ولا يمكن إنكار الأثر العاطفي الذي يمثله الخطيب بشخصيته الدينية والاجتماعية على المخاطبين.

(١) المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، فاطمة

٣٤.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

ومن تأثيرات السياق المقامي الواضحة في صياغة الخطاب قوله عليه السلام: «وهو يسألكم النصرَ ويدعوكم إلى الحق وبأمركم بالمسير إليه لتؤازروه، وتنصروه على قوم نكثوا بيعته وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه ومثلوا بعماله وانتهبوا بيت ماله فاشخصوا إليه رحمكم الله، فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واحضروا بما يحضُر به الصالحون» إنه استعمل الضمير المنفصل (هو) بدلاً من ذكر اسم الإمام على عليه السلام وذلك السبب: أولهما يعلمون علم اليقين أن الخطيب هو ابن الإمام عليه السلام والثاني علم المخاطبين بالواقع الذي عليه المسلمون وعن الفتنة التي كانت تجري في أيامهم، فهم في صلب المشاركة الوجدانية والمعاشية الواقعية للحالة التي أراد عليه السلام حثهم

المبحث الأول: أثر سياق الموقف (المقام) في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٣٥

إليها، وقد شكل المقام نمطاً من أنماط الخطاب حين بدأ بتسلسل منطقي لا يمكن أن يحدث إلا في حالة المودة بين الناس، أو في حالة التوقع الايجابي للاستجابة للخطاب وهذه لا تقوم من دون معرفة تامة بحالة المخاطبين، لذلك جاء الخطاب بصيغة السؤال ثم صيغة (يدعوكم) ثم انتقل إلى المرحلة الأقوى وهي مرحلة الأمر، وهذا التدرج في صيغ الخطاب مبني على فهم لحالة الناس النفسية ولكي ينهض بهم لأداء الواجب الذي سيجعلهم من الصالحين وتلك منزلة يفقه المخاطبون أهميتها ويعتز المسلمون بكرامتها ويسعون إليها. ومن الشواهد الأخر التي تكشف عن عمق تأثير السياق المقامي في المعنى ما ورد في خطبة الإمام الحسن عليه السلام الرد على عبد الله بن

٣٦.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

الزبير في حياة أمير المؤمنين عليه السلام بعد حمد الله والثناء عليه قال: (أيها الناس إنه قد بلغنا مقالة عبد الله بن الزبير، فأما زعمه أن علياً قتل عثمان، فقد علم المهاجرون والأنصار بأن أباه الزبير بن العوام لم يزل يجتني عليه الذنوب ويرميه بفضيحات العيوب، وطلحة بن عبيد الله راكز رايته على باب بيت ماله وهو حي، وأما شتمته لعلي فهذا ما لا يضيق به الحلقوم لمن أراده، ولو أردنا أن نقول لفعلنا، وأما قوله، إن علياً ابتز الناس أمورهم فإن أعظم حجة أبيه الزبير أنه زعم أنه بايعه بيده دون قلبه فهذا إقرار بالبيعة، وأما تورده أهل الكوفة على أهل البصرة، فما يُعجب من أهل حق وردوا على أهل باطل، ولعمري ما نقاتل أنصار عثمان، ولعلي أن يقاتل أصحاب الجمل

المبحث الأول: أثر سياق الموقف (المقام) في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٣٧

والسلام^(١)، من خلال هذا النص نستطيع أن نحدد أثر السياق المقامي في الصياغات اللغوية داخل النص منفردة والنص كله بما فيه من روابط يؤكد هذا التأثير، لأن النص الأدبي تتحكم فيه من العناصر والظروف المتعددة، وهي تشكل عناصر المقام ذاته، ومن أهمها: المتكلم وما يتصل به والمتلقي وما يتصل به. والعلاقة بين المتكلم والمتلقي. الموقف الكلامي. الظروف المحيطة بالنص ساعة إنتاجه، فالتكلم هنا إمام يعرف المخاطبون مكانته الدينية والاجتماعية، والمتلقون هم جماعة المسلمين الذين بايعوا الإمام علياً عليه السلام بالخلافة، أما العلاقة بين

(١) الجمل وصفين والنهروان - لأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت ١٥٨هـ) - جمعه وحققه - حسن حميد السنيد - دار السلام - (د.ت): ١٧٥.

٣٨.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

الخطيب والمتلقين فهي علاقة ود ومحبة اذ هم من أنصار الإمام وأتباعه، أما الموقف الكلامي فهو موقف حجاجي فيه يقدم الإمام عليه السلام رداً شافياً مقنعاً مستنداً إلى ظواهر حجة يعلمها المتلقون لكي يبطل حجة الخصم وادعاءه الباطل، أما الموقف الخارجي الذي أحاط بالنص فهو يمثل لحالة الاستعداد والتهيؤ لمقارعة الناكثين للبيعة، كل هذه العوامل او العناصر كانت حاضرة في النص، ومن دون معرفتها لا يمكن الفهم النص واكتشاف دلالاته، اذ يتطلب ممن جاء بعد زمان أنتاج النص أن يطلع على الملابس التاريخية في ذلك الحين حتى يعرف لماذا الجأ الإمام عليه السلام إلى استعمال صيغة التأكيد ب(إن) المشبهة بالفعل من أول جملة وصياغاته،

المبحث الأول: أثر سياق الموقف (المقام) في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٣٩

ثم أنه ربط هذا التأكيد بضمير سبق من أراد الإشارة إليه كل ذلك من أجل إثارة الانتباه في المتلقين لعظم ما يأتيهم من قول وحجة، وحتى يزيد في تأكيد حجته فقد استعمل حرف التحقيق (قد) قبل أن يفصل في القول، ولما كان الموقف أو المقام حجاجياً كان لزاماً أن يأتي الكلام مفصلاً متسلسلاً مترابطاً، وهذا ما يكشفه النص من خلال استعماله، أداة التفصيل (أما) ثلاث مرات في النص، كما استعمل حرف التحقيق (قد) مرتين، ثم إنه عليه السلام استعمل مجموعة من الأفعال الماضية للدلالة على رسوخ حقد المدعي وعلى قدم تهاونه بالقيم التي اعتادها العرب من الالتزام بالعهد والبيعة، إذ لا يصح الإنكار والتنصل بعد أن شهد المسلمون بيعة أبيه الزبير بن العوام، فكل

٤٠.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

هذه الصياغات والتراكيب التي ضمها النص جاءت منسجمة مع الظرف الحالي أو المقامي، وهي تؤكد أن النص لا يمكن فهمه دون الرجوع إلى السياق الذي ولد فيه، وكانت دالة على ملابسات الواقع التاريخي والثقافي في ذلك العصر، فقد جاء منسجماً متسقاً مع الظرف وفاعلاً فيه، لأنه متسق ومترابط وهذه هي إحدى أهم خصائص النص الأدبي الإبداعي التي كشفت عنها اللسانيات الحديثة، خاصة الاتساق و الترابط، ف«النص منتج مترابط، متسق ومنسجم، وليس تابعاً عشوائياً لألفاظ وجمال قضايا و أفعال كلامية... والاتساق من الشروط الأساسية لبناء نصية المعنى... ولا تستقيم نصية القطعة إلا بانسجامها وهذا يتأتى عن إدراج النص

المبحث الأول: أثر سياق الموقف (المقام) في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٤١

ضمن إطاره السياقي ولا يكتمل إلا إذا اكتملت كل أبعاد النص»^(١)، ولقد اكتملت في النص كل الظروف حتى أنتجت نصاً بليغاً فيه الحجة والدليل وهو قادر على إيصال المعاني والدلالات التي يقصدها إلى المتلقين، وهذا النص لا يمكن فهمه دون معرفة تامة بالسياق الاجتماعي الذي أحاط به، إذ (لا يمكن عزل النص عن سياقاته الخارجية وفهم الدلالات الحقيقية له كاملة في ذات الآن، فالكثير من المحفزات الذهنية والدلالات العامة سيفقدها النص خارج إطاره الثقافي)^(٢)، وإذا

(١) قراءة في اللسانيات النصية، جان ميشال آدم، عرض خولة طالب الإبراهيمي، مجلة اللغة والأدب، العدد ١٢، شعبان ١٤١٨هـ، ديسمبر ١٩٩٧، معهد اللغة العربية وأدبها، جامعة الجزائر، ص ١١٨.

(٢) المعنى خارج النص - أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب: ٤٥.

٤٢أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

أردنا شواهد على ما نقول ففي نصوص خطب الإمام الحسن عليه السلام الكثير منها، لكن شروط البحث هي المانع عن إيراد المزيد منها الذي يكشف عن فاعلية السياق المقامي بكل أنواعه في توجيه المعاني التي سعى إلى إيصالها منشئ النص إلى المتلقين، مراعيًا الاختلاف والفهم والتوجه، فلكل مخاطب قدرة محددة على فهم الخطاب قد تغاير غيره ممن قصدهم الخطاب، لذلك كانت الصياغات اللغوية واضحة ومباشرة في أغلبها، حتى لا يحدث تباين في الرأي اتجاه قضية كانت تستوجب الحث وإثارة العزيمة في نفوس أهل الكوفة ليلاقوا من أنكر البيعة، وتمترس حول أفكار اعتقدها أو صور له أنها عين الصواب.

المبحث الثاني

أثر السياق اللغوي في خطب الإمام الحسن عليه السلام

تنص إحدى التعريفات للسياق اللغوي على أنه ((السياق الداخلي الذي يعني بالنظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم، آخذاً بعين الاعتبار ما قبلها وما بعدها في الجملة))^(١) فالسياق اللغوي الذي يقوم على موقعية اللفظة في النص وعلاقتها بغيرها من الألفاظ

(١) السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني، زيد عمر عبد الله، مجلة

العلوم التربوية والدراسات الإنسانية، جامعة الملك سعود، مجلد ١٥ : ٨٣٧.

٤٤أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

داخل النص، يحدد الدلالة، ويرجح المعنى المقصود من خلال مجموعة من المعاني التي تمتلكها اللفظة، هذا هو الحاكم الفاعل في سير الدلالة وفي عدم انفراط تسلسل المعاني في النص ومن ثم خلق وحدة معنوية كاملة للنص لا تخرج عن الفكرة الأساس التي أرادها منشىء النص، وهذا يشير إلى الوظيفة السياقية للخطاب التي «تتمثل في حجب تعدد المعاني في الكلمات، وتقليص الاستقطاب في أقل عدد ممكن من التأويلات»^(١)، وكلما قلت التأويلات في الخطاب كلما وضحت الدلالة وبان القصد وهو ما يسعى إليه دائماً الخطيب أو الكاتب، ونحن هنا أمام نصوص لخطب الإمام الحسن عليه السلام كلها موجهة لقصد

(١) نظرية التأويل وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، الدار

المبحث الثاني: أثر السياق اللغوي في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٤٥

محدد ومقترنة بأحداث وسياقات تاريخية ونفسية، حتمت فهماً واضحاً وفي هذا المبحث سنقف عند بعض من هذه الخطب للكشف عن تأثير السياق اللغوي في اختيار المعنى وفي أرجحية دلالة على أخرى في النص، لأن من أولوية النص الخطابي أن تكون فكرته الأساس واضحة ولا تقبل التأويل الذي يفقدها القدرة في التأثير والاستمالة التي يرغب الخطيب في إحداثها في متلقيه، ومن هذه الخطب، خطبته عليه السلام في التوحيد وذلك لما أمره أمير المؤمنين عليه السلام أن يخطب في مسجد الكوفة. فقال: «الحمدُ لله الواحد بغير تشبيه الدائم بغير تكوين القائم بغير كلفة الخالق بغير منصفة الموصوف بغير غاية المعروف بغير محدودية العزيز لم يزل قديماً في القدم ردعت القلوبُ لهيبته وذهلت العقول لعزته وخضعت

٤٦أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

الرقابُ لقدرته فليس يخطرُ على قلب بشر مبلغُ جبروته ولا يبلغُ الناسُ كنه جلاله ولا يفصح الواصفون منهم لكنهُ عظمته ولا تبلغهُ العلماءُ بألبابها ولا أهلُ التفكير بتدبير أمورها أعلمُ خلقه به الذي بالحد لا يصفهُ يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصارُ وهو اللطيفُ الخبير. أمّا بعد فإن عليا باب من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً أقولُ قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم^(١)، في هذه الخطبة التي تكشف مفردات عن الفكرة الأساس التي من أجلها أنشئت وهي الدعوة إلى شكر الخالق جل وعلا بعد أن أوضح النص الصفات التي وجب بها

(١) تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي (ت ٣٥٢هـ) تح - محمد

عبد الكاظم ط ١ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م الناشر مؤسسة الطبع النشر -

طهران: ٧٩.

المبحث الثاني: أثر السياق اللغوي في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٤٧

الحمد والثناء، فهو وإن استغنى عن ذكر جملة (الحمد لله) في التراكيب اللاحقة لقوله (الحمد لله بغير تشبيهه) فإن القرائن اللفظية قادرة على إثبات القصد، بل إن الحذف الذي تعمدته المنشئ زاد من جمالية النص وأثمر تماسكاً وانسجاماً بين وحداته اللغوية، فما دام الخطاب والقصد واحداً فلا حاجة إلى العطف بأي أداة، وهذا ما حققه النص في مجموعة التراكيب الخبرية التي بها وصف الخالق جل وعلا فقال: الدائم بغير تكوين القائم بغير كلفة....) إذ تبدو في هذا النص السمة الأسلوبية التي هي سياق أسلوبى وهو جزء مهم من السياق اللغوي الذي به وحده تنكشف قدرة المبدع على استثمار طاقات اللغة التعبيرية، عبر الاختيار الدقيق للصياغات الدالة أو الموحية بالدلالة، والتي تؤكد القصد وتسعى إلى نمو

٤٨أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

الفكرة الأساس عبر هذه الوحدات اللغوية التي تواشجت في علاقاتٍ ما كان لها أن تكون بهذا الشكل الأسلوبى لولا القدرة البلاغية للخطيب الذي عنده تنكشف قدرة المبدع في نصه لأن السياق الأسلوبى الذي يظهره النص هو «ملك الفرد الذاتى ومن حقه أن يمارس طاقته الإبداعية وإنتاجيته في خلق أجيال جديدة من التراكيب ذات مستوى فنى عالى النسيج»^(١)، فالصفات الربانية استطاع الإمام عليه السلام أن يقدمها على وفق أسلوب اعتمد أسلوب الجمل المتوازية وهو أسلوب يعرفه النثر العربى في قديمه، لما فيه من تكرار إيقاعى، يثري النص بطاقات موسيقية، تستطيع أن تعضد المعنى وتجلب انتباه المتلقى، إذ أن شد انتباه المتلقى إلى الخطيب هي إحدى

(١) المعنى خارج النص: ٣٢.

المبحث الثاني: أثر السياق اللغوي في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٤٩

أهم وأنجح الوسائل في إيصال قصيدة الخطاب وفي إحداث التأثير المتبغى في المتلقين، ثم أن النص الذي ندرسه محاولين الكشف عن تأثير السياق اللغوي فيه يظهر في تحديد وترجيح المعنى لكل مفردة عن سائر المعاني والدلالات المعجمية لها، فمثلاً ورد في النص قوله عليه السلام: «أما بعد فإن علياً باب من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً أقولُ قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم» فلفظة باب هنا لها دلالة أخرى غير تلك الدلالة المعجمية، إذ استعملت هنا استعمالاً مجازياً لتدل على الوجهة الصحيحة التي يجب سلوكها دون غيرها من السبل والاتجاهات التي لا تؤدي إلى المعرفة التامة بالدين وبالواجبات التي فرضها الإسلام على الناس من طاعة وشكر وامتنال لأوامره واجتناب معاصيه جل

٥٠أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

وعلا، ولم يكن الأسلوب هو وحده الملمح البارز في هذا النص، فإننا لنجد وبوضوح السياق الصوتي الذي اعتمد على المقاطع المتماثلة صوتياً كما في قوله «رُدعتُ القلوبُ لهيئته وذُهلَّت العقولُ لعزته وخضعت الرقابُ لقدرته فليس يخطرُ على قلب بشر مبلغُ جبروته ولا يبلغ الناسُ كنه جلاله ولا يفصحُ الواصفون منهم لُكنه عظمته» وهي أيضاً تكشف عن نمط آخر من أنماط السياق اللغوي وهو السياق النحوي الذي يبدو من استعمال الأفعال الماضية (ردعت) و(خضعت)، والأفعال المضارعة مثل (يخطر) و(يلبغ) و(يفصح) كلها تدل على نسق مختار بدقة وتكشف عن سياق أوجب هذا التابع الذي حقق الغاية في التأثير المقصود في المخاطبين، ولم يكتف السياق النحوي في تتابع استعمال الأفعال، بل

المبحث الثاني: أثر السياق اللغوي في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٥١

نجد استعمال الأسماء الموحية بدلالات منسجمة مع الفكرة الأساس للنص الخطابي كما أنها اوجبت هذا التدرج في الموقع داخل النص، إذ قدم القلوب على العقول، لأن الإحساس أسبق من التفكير والقلوب هي مكمّن الأحاسيس بينما العقول تأتي بالمرتبة التالية على الرغم من أهميتها في الوصول إلى الحقيقة في التغيير الذي يقصده المنشئ في الإنسان المخاطب، وبعد أن احست القلوب بالحقيقة ووعت العقول الغاية والفكرة، صار لزاماً أن تبدو على الإنسان الاستجابة فكانت أن (خضعت الرقاب لقدرته) وبهذا التسلسل المنطقي يكشف الخطيب عن أثر السياق في تحديد الدلالات. وكيف استطاع أن يستثمر كل ذلك من أجل الوصول إلى فعل التأثير في الإنسان الذي هو مقصد الإمام عليه السلام من

٥٢ أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

خطبته. وفي خطبة أخرى للإمام الحسن عليه السلام ألقاها على مسامع أهل الكوفة بعد الصلح بينه وبين معاوية، نقتطع جزءاً منها لنمدل على تأثير السياق اللغوي في تحديد الدلالات وفي اختيار أنسبها وأكثرها ملاءمة للقصد الذي من أجله أنشئت هذه الخطبة، يقول عليه السلام: «يا أهل الكوفة لقد فارقكم بالأمس سهم من مرمى الله، صائب على اعداء الله نكال على فجار قريش، لم يزل آخذاً بحناجرها جاثماً على أنفسها، ليس بالملومة في أمر الله، ولا بالسروقة لمال الله، ولا بالفروقة في حرب أعداء الله، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمهم، دعاه فأجابهم، وقاده فأقنعه، ولا تأخذه في الله لومة لأئمة، فصلوات الله عليه ورحمته»^(١).

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦ / ٢٨، ينظر: بحار الأنوار: ٤٤ / ٤٢.

المبحث الثاني: أثر السياق اللغوي في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٥٣

إن الدلالة التي يمنحها النص من خلال تراكيبه وألفاظه تعتمد على السياق بنوعيه، لأن المعنى بحسب اللغويين الذي يعطيه المعجم للفظه يكون متعددًا، فهم «يصفون المعنى المعجمي للكلمة بأنه متعدد ويحتمل أكثر من معنى واحد في حين يصفون المعنى السياقي لها بأنه واحد ولا يحتمل غير معنى واحد»^(١)، وهذا يبدو لي واضحاً في النص أعلاه، إذ أن لفظة (سهم) لها دلالة معجمية معروفة كونها أداة حرب ذات مواصفات محددة، لكنها في النص اكتسبت معنى آخر، فهي تشير إلى استعمال كنائي لها، عندما صورَّ الخطيبُ الإمام علياً عليه السلام بالسهم المنبعث من مرمى الله جل وعلا، فقد منح النص

(١) منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون

٥٤أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

من خلال السياق الأسلوبي هذه الكلمة معنى آخر، وهذا هو وجه من وجوه تأثير السياق على دلالة الألفاظ، وقد تنبه إلى ذلك من قبل الشيخ عبد القاهر الجرجاني حين أقر أن التفاضل بين الألفاظ يجب أن يكون ضمن السياق فقال: «إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفرد، وإن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ»^(١)، وهذا المعنى الذي اكتسبته لفظة (سهم) في النص قد تعاضدت عليه مجموعة من الصياغات التي أكدت المعنى السياقي لللفظة وأبعدته عن المعنى المعجمي، لتأخذ من صفته وليس حقيقته المادية

(١) دلائل الإعجاز: ٣٢.

المبحث الثاني: أثر السياق اللغوي في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٥٥

حين قال الإمام الحسن عليه السلام واصفاً هذا السهم بأنه (صائب) وأنه (نكال على فجار قريش) ثم استمر السياق يمنح اللفظ (سهم) أبعاداً معنوية ويؤكد المعنى السياقي الذي وردت به في النص بعد أن اجتمعت عناصر السياق اللغوي على تأكيد المعنى السياقي، إذ إن للسياق اللغوي عند اللغويين المحدثين عناصر ثلاثة هي:

أولاً: الوحدات الصوتية والصرفية والكلمات التي يتحقق بها التركيب والسبك.

ثانياً: طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب.

ثالثاً: طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للجمل أو ما يطلق عليه التطريز الصوتي، وظواهر هذا الأداء المصاحب المتمثلة في النبر والتنغيم والفاصلة الصوتية

٥٦أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

(أو الوقف)^(١)، وهذا العنصر الثالث لا يدخل ضمن قراءتنا للنص لأنه يتطلب المشاهدة والحضور وهذا قد يدفعنا للتكهن بالحالة التي كان عليها الخطيب، وربما لا نكون صادقين في تصور تلك الحالة لذلك أبعدهناه فضلاً عن التأثير إن جاز لنا ذلك منعاً للخرج.

ومن الشواهد الأخر على التأثير السياق في الدلالة قوله عليه السلام في وصف المتقين بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: «لقد صحبتُ أقواماً كأنهم ينظرون إلى الجنة ونعيمها والنار وحميمها يحسبهم الجاهل مرضى وما بهم من مرض، أو قد خولطوا وإنما خالطهم أمر عظيم، خوف الله ومهابته في قلوبهم كانوا يقولون: ليس لنا في

(١) علم الدلالة - إطار جديد، ف. ر. بالمر، ت الدكتور صبري إبراهيم

السيد، دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية، ط سنة ١٩٩٥ م: ٧٧.

المبحث الثاني: أثر السياق اللغوي في خطب الإمام الحسن عليه السلام ٥٧

الدنيا من حاجة وليس لها خلقنا ولا بالسعي لها أمرنا
أنفقوا أموالهم وبذلوا دماءهم واشتروا بذلك رضا
خالقهم، علموا أن الله اشترى منهم أموالهم وأنفسهم
بالجنة فباعوه وربحت تجارتهم وعظمت سعادتهم
وأفلحوا وأنجحوا، فاقترفوا آثارهم رحمكم الله.....»^(١)،
في هذا النص نجد تأثير السياق اللغوي واضحاً جلياً في
دلالة الألفاظ المؤلفة للنص وفي الصور التي تعاضدت
لتمنح النص بعده الدلالي الكلي بما يؤكد الفكرة الأساس
التي أقيم من أجلها وهي الدعوة إلى الله وإبانة محاسنها
والتحذير من السلوك الخاطيء الذي يقود إلى النار، فقد
قدم النص صورة المؤمن المتيقن الذ صار ينظر إلى الجنة
من دون حجاب لأنه استشعرها بكل ما فيها، فصار

(١) شرح نهج البلاغة - لابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ) : ١٤ / ١١ .

٥٨أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

بمنزلة الشاهد لا بمنزلة المتخيل، ثم إن النص اعتمد على أساليب بلاغية اجتمعت لتؤدي غرض البيان وتوضح الدلالة المركزية للنص، فقد استعاض الإمام عليه السلام عن الوصف المباشر بالاستعمال الدقيق لفنون القول العربي، ومن هذه الفنون فن المجاز الذي يمنح النص بعداً بيانياً مؤثراً ومنعه من الوقوع في المباشرة، ولعلنا نجد أن اللجوء إلى هذا الأسلوب ما كان ليحدث لولا السياق غير اللغوي الذي نشأ النص في زمنه وتلون تبعاً لمحدداته، فالخطاب يؤشر إلى أنه موجه المجتمع أو مجموعة تفهم ما يراد بذلك أو هي قريبة من ذلك الفهم، ثم إن النص لا يريد به الإمام أن تحده أمكنة أو تمنعه أزمنة لذلك اتخذ هذا الأسلوب المعتمد على توظيف الأساليب البيانية في كشف الدلالة.

الخاتمة

لقد اعتمد البحث على نظرية السياق بشقيها اللغوي وغير اللغوي وما يمثلانه من تفرعات انكشف تأثيرها على النص المدروس، ثم أن النص الذي ولد في واقع اجتماعي وبيئة لغوية معينة وحالة نفسية لها خواصها الفارقة كلها تركت أثراً في شكل الصياغات التي جاءت ضمن النصوص المختارة المدروسة، فقد أشار البحث وهو يتناول ذلك في مبحثه الأول إلى أثر السياق المقامي في توجيه الدلالة وفي الاختيار المناسب للترايب اللغوية دون غيرها، لا في الواقع أو المقام والمؤثرات هي التي

٦٠.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

حددت شكل الصياغة وفرضت نوعاً من التراكيب والألفاظ لتقوم بمهمة الإبلاغ والتوصيل للفكرة الأساس التي من أجلها قامت هذه الخطب، ثم أن البحث لم يغفل الدراسات القديمة والحديثة التي اعتنت بدراسة أثر السياق في النص ودل على بعض منها واستفاد منها في تحليله للنصوص المدروسة، ثم إن الباحث قد اختار نماذج من خطب الإمام الحسن عليه السلام ووجد فيها ما يعضد ما ذهب إليه من هذه التأثيرات التي تبدو على سطح النص، في ألفاظه وتراكيبه وصوره التي كشف عنها المبحث الثاني الذي تناول أثر السياق اللغوي في تحديد المعنى وفي توجيهه، فقد استعمل الإمام عليه السلام أساليب بلاغية ملائمة للسياق الذي ورد فيه النص كما أنها شكلت قوى تماسك في النص وعملت

الخاتمة ٦١

على تلاحم أجهزته ووحدت أفكاره، وأحسن مظهره
لأنها أخذت كل المؤثرات ولم تغفل عن قوة تأثيرها في
المتلقي إذ إن كل متلق نوعاً من الخطاب ولكل خطاب
نوعاً من الصياغات والصور.

**

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي (ت ٣٥٢هـ) تح - محمد عبد الكاظم ط ١ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م الناشر مؤسسة الطبع والنشر، طهران.
- ٢- الجمل وصفين والنهران - لأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي (ت ١٥٨هـ) - جمعه وحققه - حسن حميد السنيد - دار السلام - (د.ت).

٦٤.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

٣- دلالة السياق - د. ردة الله بن ردة بن ضيف الله
الطلحي - معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى،
السعودية ١٤٢٤هـ: ٤٢.

٤- دور الكلمة في اللغة - ستيفن أولمان، ترجمة
د. كمال بشر، مكتبة الشباب، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٥- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق
عليه، أبو فهر محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة،
ط٣، ١٩٩٢م.

٦- السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني، زيد
عمر عبد الله، مجلة العلوم التربوية والدراسات
الانسانية، جامعة الملك سعود، مجلد ١٥: ٨٣٧.

المصادر والمراجع.....٦٥

٧- شرح نهج البلاغة- لابن أبي الحديد المعتزلي
(ت٦٥٦هـ) - تح - محمد أبو الفضل إبراهيم - دار
إحياء الكتب العربية - ١٣٧٩هـ.

٨- علم الدلالة - إطار جديد، ف. ر. بالمر، ت
الدكتور صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية -
الإسكندرية، ط سنة ١٩٩٥م.

٩- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، د. هادي
نهر، الأردن، ٢٠٠٧: ٢٣٦.

١٠- علم الدلالة العربي - د. فايز الدايدة - دار
الفكر - دمشق - الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

١١- علم الدلالة - د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب،
القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣م.

٦٦.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

١٣- قراءة في اللسانيات النصية، جان ميشال آدم،
عرض خولة طالب الإبراهيمي، مجلة اللغة و الأدب،
العدد ١٢، شعبان ١٤١٨ هـ، ديسمبر ١٩٩٧، معهد
اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر.

١٤- قرينة السياق - د. تمام حسان: ٣٧٥، بحث قدم
في (الكتاب التذكري للاحتفال بالعيد المثوي لكية دار
العلوم)، مطبعة عبير للكتاب، ١٩٩٣، القاهرة.

١٥- علم الدلالة - د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب،
القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣ م.

١٦- المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد
دلالات الخطاب، فاطمة الشيدي، دار نينوى، دمشق،
٢٠١١.

المصادر والمراجع.....٦٧

١٧- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة

الحديث، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.

١٨- نظرية التأويل وفائض المعنى، بول ريكور،

ترجمة سعيد الغانمي، الدار البيضاء، بيروت، ٢٠٠٣.

١٩- النقد والسياق، سالم عباس خدادة، مجلة العلوم

الإنسانية، ع ٢، جامعة البحرين، ١٩٩٩.

الفهرس

٧	مقدّمة المركز:
١١	المقدمة
١٥	التمهيد
١٥	السياق لغة واصطلاحاً:

٧٠.....أثر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام

المبحث الأول: أثر سياق الموقف (المقام) في خطب الإمام

الحسن عليه السلام ٢٥

المبحث الثاني: أثر السياق اللغوي في خطب الإمام

الحسن عليه السلام ٤٣

الخاتمة ٥٩

المصادر والمراجع ٦٣

الفهرس ٦٩

من أجل التواصل بين المركز والقارئ

عزيزي القارئ الكريم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نشكر لك اقتناء كتابنا، (أخر السياق في خطب الإمام الحسن عليه السلام للكاتب، عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي) ورغبة منا في تواصل بناء بين المركز والقارئ، وباعتبار أن رأيك مهم بالنسبة لنا، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائماً بملاحظاتك، لكي ندفع بمسيرتنا سوياً إلى الأمام.

الاسم الثلاثي واللقب: الوظيفة (اختياري):
المؤهل الدراسي: السن (اختياري):
العنوان (اختياري):
الدولة: المدينة: الحي: الشارع: رقم الدار: ص.ب:
الهاتف (اختياري):
البريد الإلكتروني:

❖ من أين عرفت هذا الكتاب؟

أثناء زيارة مكتبة ترشيح من صديق إعلان معرض غيرها

❖ من أين اشتريت الكتاب؟

اسم المكتبة أو المعرض: المدينة: العنوان:

❖ ما رأيك في الكتاب؟

ممتاز جيد عادي (لطفاً وضح لم).

❖ ما رأيك في إخراج الكتاب؟

عادي جيد متميز (لطفاً وضح لم).

❖ ما رأيك في سعر الكتاب؟

مناسب معقول مرتفع (لطفاً أذكر سعر الشراء) العملة:

عزيزي القارئ انطلاقاً من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة... فلا تتوان ودون ما يجول في خاطرك،

عنوان الرسالة:

العراق- النجف الأشرف- شارع المثنى- مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية

الموقع الرسمي: www.imamhasan.org | البريد الإلكتروني: info@imamhasan.org

هاتف: ٠٠٩٦٤٧٨٠٣٣٥٨٠٢٠ | [AlimamAlhasan47](https://www.facebook.com/AlimamAlhasan47)